النشاط الثقافي في الغرب

فرنسا

لمراسل « الاداب » الخاص

١ . معرضان فنيان هامان

تشهد باريس الآن – في متحف الفنون الحديثة – معرضين تفصل بينهما ٤٠ الف سنة من الزمن ، ولكنهما اقرب ما يمكن ان يكون معرضان. فالأول – المخصص لما قبل التاريخ – يصور بدء الفن البشري ، والثاني – استعراض الفن التكعيبي – يحوي آخر حلقة في سلسلة التطور الفني .

ولم يكن في المستطاع اقامة المعرض الاول لولا جهود طلاب مدرسة الفنون الجميلة الذين نقلوا عن اصولها آثار الفن البدائي ، التي تملأ جوانب المغاور والتلال في فرنسا واسبانيا وافريقيا وغيرها .

ويرى الزائر ان الرسم والتصوير يختلفان في اساليبها وحيويتها باختلاف المناطق التي ازدهر فيها الفن البدائي ، وان كانت كل صور الفن تحمل طابعاً مشتركاً ، هو طابع الحياة الفطرية القائمة على كسب العيش في عالم حافل بالحيوانات الوحشية ، فجاءت التصاوير والتزاويق تدور حول الصيد والقنص والمطر والشمس وغيرها من مقومات حياة الانسان الاول .

وأول ما صنع الانسان في ميدان الفن لا يخرج عن جداول خطها باصبعه على الصلصال ، او احجار رأى فيها شبهاً بما يشاهده في حياته اليومية فعالجها بفأسه الصوانية ، محاولا ان يجعل منها تمثالا بدائياً . ثم تطور الفنان فأخذ يرسم الثيران والغزلان وغيرها ، فيأتي بالرائع من حسن التقاط الحركة والتوثب ، فاذا حيواناته ما تزال تنتفض في قفزها وركضها ، والوانه حية براقة على مر آلاف السنين .

ولم يعتم الفنان الاول ان انتقل من الفن التمثيلي الواقعي الى الفن الرمزي ، فتطور الثور الى رمز عن الثور يستخدم كتعويذة لجلب الصيد العميم الى القبيلة مثلاً .

وتدل الابحاث التي جرت مؤخراً على ان الفن شاهد النور منذ ٤٠,٠٠٠ عام في المنطقة الواقعة بين جنوب فرنسا وشمالي اسبانيا ، وما عتم ان تبعه فن آخر يسود عليه طابع النور ، في شرقي اسبانيا . ثم ظهر الفن وازدهر في قلب صحراء افريقيا التي كانت خصبة مروية وعلى صخور افريقيا الجنوبية ، وفي اقاصي سكاندينافيا .

وقد ذهب هذا الفن بتغير الطقس في اوربا على اثر ذوبان الجليد الذي كان يغطي معظمها ولكن آثاره ما زالت باقية في المغاور ، وما زالت تقاليده حية في بعض ادغال افريقيا الجنوبية بين شعوب « البوشمان » .

٢ . استعراض للفن التكعيبي

اتى زمن – قبل الحرب العالمية الاولى وبعيد الحرب العالمية الثانية – كان فيه الفن التكعيبي موضع جدل حامي الوطيس ، انقسم فيه نقاد التصوير واربابه معسكرين كل يناضل عن افكاره . اما الآن فقد اصبح اكثر التكعيبيين شيوخا من اساطين التصوير وملأت لوحاتهم متاحف العالم واصبحت لا تقدر بثمن .

ومن الممكن ان يناقش المرء في قيمة هذا المذهب في التصوير وصحته – ولكن ذلك لن يغير من الواقع شيئا ، وهو ان التكعيبية دخلت في التاريخ واحتلت مكانها فيه ، كأي مدرسة تصويرية اخرى .

وقد جاءت التكعيبية نتيجة ثورة بعض الفنانين الشبان – مثل (بيكاسو Picasso) و(براك Braque) و (غريس Gris) و(دران Derain) و (متزنغر Metzinger) وغيرهم – حوالي عام ١٩٠٨ على المدرسة الانطباعية Impressionnisme التي كانت تغرق في تصوير الواقع في دقائقه ، فتبعد عن الواقع وتعطي صورة مشوهة عنه .

فالتكعيبية اذاً – في جوهرها – محاولة لتصوير واقع الاشياء تصويراً اصدق مما تأتي به الانطباعية . والنظرية في حد ذاتها معقولة ولكن تطبيقها ألقي الى جمهرة من الشباب المندفعين ، فطبعها كل منهم بطابعه الخاص .

وتطورت النظرية ، فلم يعد اصحابها يرضون بتصوير الواقع : بل حاولوا ان يخلقوا الاشياء من جديد ، ويصوروا واقعها كما يرونه على ضوء تأملاتهم التي كانت مزيجا من الفلسفة والشعر والرياضيات والتصوير !!

ولذا جاء انتاجهم مختلفاً جد الاختلاف في فترة واخرى ولدى شخص وآخر.

والمعرض الذي نحن بصدده يقدم لنا استعراضا للفن التكعيبي منذ عام ١٩٠٨ – ١٩٠٨ حتى يومنا هذا ، ويعطينا صورة واضحة عن مدى نجاح التكعيبية في تحريرها التصوير من ربقة الانطباعية ، وفشلها في ان تستمر في تطورها اذ قضي عليها بالتوقف لدى حد شأنها في ذلك شأن كل المدارس الفنية.

٣ . عام رابليه Rabelais

قررت الحكومة الفرنسية ان يكون هذا العام (١٩٥٣) وقفا على تخليد ذكرى رابليه Rabelais الذي ولد في ١٤٩٠ او ١٤٦٥ وتوفي في ١٥٥٣ . وقد عاش رابليه حياة ملؤها المغامرات والبحث عن المعرفة ، فكان راهبا ثم طبيبا واخيراً كاتبا ، وهذا ما خلد اسمه في الادب الفرنسي والعالمي .

وقد ألف رابليه كتابي Gargantua و Pantagruel ، وهما قصتا شخصين خرافيين ، ضخمي الجثة الى حد كبير ، نهمين شرهين ، يحيط بهما بلاط من الشخصيات الطريفة. وقد نجح رابليه في كتابيه وخاصة في بانتاغرويل في رسم صورة جد حية لمن عصره ، ونقد المؤسسات والمجتمع والدين والعلم في اسلوب فكاهي فنجا من غضب الكنيسة والملك .

وقد حاول اساتذة السوربون – وهي آنذاك مؤسسة طويلة اليد منيعة الجانب – ان يلاحقوا رابليه لما راشه ضدهم من سهام النقد المرير ، ولكن ما كان يتمتع به الكاتب من حماية لدى كبار رجال العصر جعله في نجوة عن غضب الجامعة ورجالها .

٤ . عود الى الادب الافريقي

في مقال سابق ، تحدثنا عن كتاب محمد ديب الذي صدر في اللغة الفرنسية بعنوان « البيت الكبير » . وقد نال هذا الكتاب اخيراً جائزة Fénélon

النشاط الثقافي في الغرب

الكبيرة وقدرها ٢٥٠ الفا من الفرنكات . وقد ولد محمد ديب عام ١٩٢٠ في تلمسان ، وعاش حياة قلقة تمرس خلالها باكثر المهن ، فعمل صانعا للسجاد وحاسبا ، ومعلما وصحفيا . وهو يساهم الآن في المجلات الفرنسية الصادرة في الجزائر ، وكتابه « البيت الكبير » اول ثلاثة اجزاء تصدر تحت عنوان « الجزائر » . وينتهي محمد ديب من تأليف الجزء الثاني الذي سيحمل عنوان « الحريق » .

وتهتم دور النشر في باريس كثيراً بالأدب الافريقي ، وسيصدر قريبا ، في مجموعة « البحر المتوسط » كتاب جديد باسم « الارض والدم » بقلم مولود فرعون ، يصف فيه الكاتب احوال العيش التي يعانيها العمال الجزائريون في فرنسا .

ومن المنتظر ان تعمل دار النشر Plon على اصدار مجموعة روائية اسلامية.

٥ . مولود معمّري في باريس

وسبق وتحدثنا عن الكاتب مولود معمري الذي حصلت روايته « التل المهجور » على جائزة فمينا Fémina . وقد كللت روايته اخيراً من واحة بسكرة Biskra بجائزة ادبية هي جائزة اللجان الاربع Prix des Quatre Jurys .

والاستاذ معمري يزاول تعليم الادب في كلية بن عقنون في مدينة الجزائر، وقد جاء باريس مؤخراً في فرصة المرافع ، واقام ناشرو (Plon) حفلة تعرف فيها ادباء باريس على هذا الوجه الجديد في عالم الرواية .

السويد

قضية الكتاب

لم تتعود السويد المنازعات الادبية: وليس ذلك لأن السويديين لا يتناقشون في الادب ، وانما لأن قضية الكتاب هي في نظر السويدي قضية اجتماعية واقتصادية وحتى سياسية .

ولأسباب سياسية اولاً ، تدعمها اسباب اجتماعية وتجارية ، تألفت منذ حين لجنة حكومية عهد اليها درس وضع دور النشر بالاضافة الى اسعار الكتب وارباح المكتبات ومصادر عائدات المؤلفين ، ووضع الكتاب في حياة البلاد .

وقد ظهرت نتيجة هذا التحقيق الذي لم يتناول القيمة الادبية للمؤلفين على شكل تقرير يقع في ثلاثمئة صفحة تقوم اهميته على انه يعرض لوحة مفصلة عن الدور الاجتماعي للكتاب في حياة السويد . وقد كانت نقطة الانطلاق في التحقيق معرفة ما اذا كان من الممكن تأميم الطباعة والمكتبة في السويد او انشاء دار للطباعة تنفق عليها الحكومة وتراقبها وتنافس بها دور النشر الخاصة . وتساعد على تحسين النتاج الادبي وتخفيض اسعار الكتب .

وتنم النتائج التي انتهى اليها التقرير عن نزاهة اللجنة وعدم تغرضها ، فأنها تجيب نفياً على السؤالين اللذين طرحتهما الحكومة. فهي لا توصي بتأميم الكتاب ولا بمنافسة الدولة لدور النشر الخاصة . ويصرح التقرير بان تدخل الدولة لا مبرر له الا اذا باتت الدور عاجزة عن المحافظة على المستوى الادبي القائم حتى الآن في السويد .

على ان المحققين قد درسوا القضية من جميع زواياها ليبلغوا هذه النتيجة . فلاحظوا اول الامر ان مهنة الكاتب ليست اوفر ربحاً في السويد منها في اي بلد آخر . وقد قدم مئة وثلاثة وثلاثون كاتباً سويدياً شهادات مفصلة اشاروا فيها الى ان الكاتب السويدي يجد مشقة كبيرة في العيش من قلمه وحده، باستثناء ثلاثين كاتباً منهم يستطيعون ان يعيشوا مما يكتبون بصورة مناسبة .

ولكن ينبغي الا يستنتج من ذلك ان اصحاب المطابع والمكتبات في السويد يحققون ارباحاً فاحشة على حساب المؤلفين . فان ارباحهم تصبح معتدلة بعد ما يفرض عليها من ضرائب ونفقات انتاج وتوزيع : وهم لهذا لا يستطيعون تبرير تدخل الدولة التي تدرك الآن من جهتها ان القيام بمشروع التأميم لدوافع ايديولوجية او طلباً للربح يعني القيام بمغامرة ربما كلفت الخزينة شيئاً كثيراً .

ويقترح التقرير اقتراحين جديرين بالتقدير حول قضيتين عمليتين : اولاهما تتناول الفائدة التي يمكن للمؤلفين ان يجنوها من اعارة الكتب في المكتبات العامة . ففي السويد يعار كل عام اكثر من سبعة وعشرين مليون كتاب من المكتبات دون ان يفيد المؤلفون منها اية فائدة . وقد لاحظ المحققون انه اذا فرض ولو مبلغ ضئيل جداً على كل كتاب يعار ، فمن الممكن تحصيل مبلغ ضخم يقدم نصفه مباشرة الى المؤلفين بنسبة عدد الكتب المعارة ، ويستعمل النصف الباقي ، وهو ما يتجمع من اعارة الكتب المترجمة والمؤلفات القديمة على شكل منح ومساعدات للكتاب السويديين .

والمسألة الثانية التي تقدم اللجنة اقتراحاً عملياً بشأنها تتعلق بالضرائب التي تفرضها الدولة على مختلف المؤسسات والجوائز الادبية . فترى اللجنة ان الخزينة تتقاضى هذه الضرائب بصورة غير عادلة ، وان من الضروري تعديل القانون بشأنها .

وقد اثبتت دراسة مفصلة للعائدات السويدية ، قامت في جزء منها على تحقيق مؤسسة غالوب في السويد ، ان واحداً بالمئة من عائدات البلاد الوطنية ناتج عن الكتب والصحف والمجلات . وسوق الشعر تكاد تكون كاسدة في السويد ، بعكس سوق القصص والروايات . فقد صدر عام ١٩٤٨ ، وهو عام نموذجي لانتاج الكتب ، مئة وتسع وستون رواية كتبها كتاب سويديون وثلاثمئة اخرى ترجمت عن مؤلفين اجانب .

ولاحظت اللجنة ، بشأن قضية المنح التي تعطى للادباء وغالباً ما تؤمن لهم حياتهم ، ان مبلغ خمسة ملايين كورون قد منحت للكتاب السويديين منذ عام ١٨٩٠ (وهذا ما يعادل ٣٥ مليون ليرة لبنانية) وقد حصل بعض المؤلفين غير المشهورين في الخارج على اكثر من خمسين منحة ، وحصل احدهم على ١٩٧ الف كورون ، وآخر على ١٣٤ الفاً . وقد حصل الكاتب بار لاجركفيست ، الذي نال جائزة نوبل عام ١٩٥١ ومقدارها ١٧٠ الف كورون ، على منح تبلغ قيمتها قبل عام ١٩٥٠ حوالي مئة الف كورون ، وتجمع بين يدي اوغست سترنيدبرغ عام ١٩٠٩ بمناسبة بلوغه الستين من عمره مبلغ كبير من المال على اثر اكتتاب أجري على شرفه ...